وصية لكل محزون

الحمد لله مزيل الهم، وكاشف الغم، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، فهو مولي النعم وصارف النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، ذو الشرف الأسمى والخلق الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وبارك وسلم.

نحن في هذه الحياة الدنيا يعتورنا ما يعتورنا من الآلام والأكدار والمصائب، والبلايا المتنوعة، فيصيب النفسَ ما يصيبها من العلل والأدواء، والهموم والغموم، والأحزان التي لربما تكسرها، وكما ترون ما من أحدٍ في هذه الحياة إلا ويعاني، فمقلٌّ ومكثر، فمن الناس من يُبتلى ببدنه، ومنهم من يبتلى بماله، ومنهم من يبتلى بحبيبٍ وعزيزٍ وغالٍ عنده أو يذهبون من بين يديه الواحد تلو الآخر ويتجرع أحزانهم حيناً بعد حين، وقد أخبر الله عباده انه سيجري عليهم الأقدار ليختبرهم ،﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:155] ، وقال رسولُ الله -ﷺ- أتاني جبريلٌ، فقال: يا محمدٌ ! عشْ ما شئتَ فإنكَ ميتٌ، وأحببْ منْ شئتَ فإنكَ مفارقُهُ، واعملْ ما شئتَ فإنكَ مجزيٌّ بهِ). الجامع الصغير

طُبعتْ على كدر وأنت تريدها ***** صفواً من الأقذار والأكدار

ومُكلّفُ الأيام ضد طباعها ***** مُتطلبٌ في الماء جذوة نار

ومما يحصل أيضاً في هذه الحياة من ألوان التعقيدات كلُّ ذلك صار يصب في النفس همًّا مما يتخوفه الإنسان في مستقبل أيامه، وهو ما يعبرون عنه بالقلق، ولربما خارت نفسه وأصابه الحزن بسبب أمرٍ فات وانقضى، فهو يعيش في غم وانكسار نفسٍ، وضيقٍ وحزن وهذه الأحزان إذا تكاثرت وتتابعت على القلب فإنها تضعفه وتفسده، فالحزن لم يرد في القرآن إلا منهيًّا عنه، كما في قوله تعالى: (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) [آل عمران:139]، وقوله: (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) [الحجر:88]، وقوله: (لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) [التوبة:40]، (وقوله وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ) [يونس:65] والآيات في ذلك كثيرة، ولهذا فإنه لا يكون محمود بحالٍ من الأحوال إلا إذا كان ذلك من الإشفاق من الدار الآخرة،أما الحزن على أمورٍ قد انقضت وانتهت فإن ذلك يضره ولا ينفعه، ويصير قلب هذا الإنسان معطلاً إذا كان محزوناً وتتابعت عليه الأحزان، لا ينتفع به في شيءٍ من عمل الدنيا، ولا أمر الآخرة، فيتفرق عليه قلبه، وتنثني عزائمه، ويكون هذا الإنسان ليس له شغلٌ إلا أن يذرف الدموع، وينعصر قلبه على ما حل به ونزل ولذلك كان لابد من وصايا لكلِّ مهمومٍ ومحزون،فالعبد على قدر صدقه مع الله -عز وجل-، ومحبته وتفريغ قلبه لربه ومولاه -جل جلاله-، وعلى قدر مرتبته في العبودية يكون له من الانشراح والسرور، والفرح واللذة، وقد قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله-: إن في القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله في خلوته، وفيه حزنٌ لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه فاقة لا يرفعها إلا صدقُ اللجوء إليه.

من وجد الله ماذا فقد ومن فقد الله ماذا وجد.

فهذه ثلاثون وصية؛ لعلها تكون بلسماً ودواءً وعلاجاً لكل مهمومٍ ومحزون:

❶الوصية الأولى: ينبغي أن نتذكر دائماً أن الله -عز وجل- قد ارتضى لنا هذه المصيبة، وهذا البلاء الذي حل بنا، وأنه اختاره لنا واختارنا له، والعبودية الحقة تقتضي أن نرضى بما رضي الله -عز وجل- به لنا، فلا

يكون للعبد اعتراضٌ على الله، وعلى أقدار الله، وإنما يكون راضياً بما رضي له به مولاه، قال رسول الله -ﷺ-:" إنَّ عِظمَ الجزاءِ مع عِظمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتَلاهم، فمَن رَضي فله الرِّضَى، ومَن سخِط فله السَّخطُ) صحيح الترمذي

❷الوصية الثانية: تذكر أن الذي ابتلاك بذلك هو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين، فهو أرحم بك من نفسك، وأرحم بالولد من الوالدة المشفقة، (قَدِمَ علَى النَّبيِّ -ﷺ- سَبْيٌ، فَإذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إذَا وجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أخَذَتْهُ، فألْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا وأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً ولَدَهَا في النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وهي تَقْدِرُ علَى ألَّا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: للَّهُ أرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا). صحيح البخاري

❸الوصية الثالثة: أن نعلم أن هذه المصيبة دواءٌ نافع ساقه الله إلى هذا العبد، وهو العليم بمصلحته، الرحيم به، فينبغي على الإنسان أن يتجرع هذا الدواء، ولا يتقيؤه بتسخطه وشكواه، فيذهب نفعه باطلاً، فهو دواءٌ ساقه إليك الطبيب العليم بحالك.

❹الوصية الرابعة: أن نعلم أن المصيبة والبلية ما جاءت لتهلكنا وتقتلنا، وإنما لتمتحن صبرنا، فإن ثبت العبد اجتباه ربه، وإن انقلب على وجهه طرد وصفع قفاه، وتضاعفت عليه المصيبة

قال تعالى: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [العنكبوت:2-3]

وقال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [البقرة:214]

❺الوصية الخامسة: أن يعلم العبد أن الله يربي عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، وبهذا تستخرج عبوديته في جميع الأحوال، فالعبودية تارةً تكون في حال السراء والنعمة، وللضراء أيضاً عبودية، فالله يقلّبنا بين هذا وهذا، فينبغي على العبد ألا يكون من عبيد العافية، وأن يعلم أن الابتلاء هو كير العبد، ومحك إيمانه.

قال الفضيل بن عياض: " الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه ".

❻الوصية السادسة: تذكر أن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه "قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثَلُ، فيُبتلى الرَّجلُ على حسْبِ دينِه، فإن كانَ في دينِهِ صلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ ابتليَ على حسْبِ دينِه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يترُكَهُ يمشي على الأرضِ ما عليْهِ خطيئةٌ". صحيح الترمذي

وقد قال ابن مسعود -رضي الله عنه- كما في الصحيحين: " دَخَلْتُ علَى رَسولِ اللَّهِ -ﷺ- وهو يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بيَدِي، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا! فقالَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-: أجَلْ، إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلانِ مِنكُم، فَقُلتُ: ذلكَ أنَّ لكَ أجْرَيْنِ؟ فقالَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-: أجَلْ. ثُمَّ قالَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-: ما مِن مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذًى؛ مَرَضٌ فَما سِواهُ، إلَّا حَطَّ اللَّهُ له سَيِّئاتِهِ، كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَها". صحيح البخاري

قال -ﷺ-: "وإنْ كان أحَدُهم ليَفرَحُ بالبلاءِ كما يَفرَحُ أحَدُكم بالرَّخاءِ". صحيح ابن ماجه

وقد قال بعض السلف: من أصيب بشيء من البلاء فقد سُلك به طريق الأنبياء.

النبي أيوب عليه الصلاة والسلام: إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يختبر صبر نبينا أيوب عليه السلام فابتلاه بمرض لم يبقه سليما إلا في قلبه ولسانه ، كما أنه فقد أبنائه وخسر أمواله الطائلة التي كان يمتلكها حتى أصبح رجلا ضعيفا لا حول له ولا قوة ، ولم يعد أحد يزوره من أقاربه وأصدقائه سوى زوجته التي كانت له زوجة صالحة وبارة به ظلت ترعاه طيلة فترة مرضه وعملت في خدمة الناس بمقابل مادي حتى تستطيع أن تطعم زوجها وتخدمه ، وظل نبينا عليه السلام مريضا وفقيرا طوال ثمانية عشر عاما ، وبالرغم من كل المصائب التي حلت به عليه السلام فلم يتوانى عن حمد الله وشكره وازداد صبره صبرا كثيرا إلى أن أصبح يضرب له المثل في صبره، قال تعالى:(إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ) [ص:44]

❼الوصية السابعة: أنت على خير، وفي الحديث يقول النبي -ﷺ-: "عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له". صحيح مسلم

وقد علق عليه شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية -رحمه الله- بأن الله -عز وجل- جعل لعباده المؤمنين بكل منزلةً خيراً منه، فالعبد دائماً في نعمة من ربه، سواء أصابه ما يحب أو ما يكره، وجعل الله -عز وجل- أقضيته وأقداره التي يقضيها لهم ويقدرها عليهم متاجر يربحون بها عليه، وطرقاً يصلون منها إليه، فهذا الحديث يعم جميع أقضيته لعبده المؤمن، وأنها خيرٌ له إذا صبر على مكروهها، وشكر لمحبوبها.

❽الوصية الثامنة: لماذا الحزن؟ ولماذا القلق والهمُّ وعملك يجري عليك أجره؟ وفي الحديث يقول النبي -ﷺ- : " ما من أحدٍ من الناسِ يصابُ ببلاءٍ في جسده؛ إلا أمر اللهُ عزَّ وجلَّ الملائكةَ الذين يحفَظونه؛ قال: اكتُبوا لعبدي في كلِّ يومٍ وليلةٍ ماكان يعملُ من خيرٍ ما كان في وَثاقي". يعني ما دام في المرض

❾الوصية التاسعة: الله أراد بك خيراً، وقد جاء في الحديث: "مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُصِبْ منه" صحيح البخاري، وقال النبي -ﷺ-: "إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لَه العقوبةَ في الدُّنيا، وإذَا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الشَّرَّ أمسَكَ عنهُ بذنبِه حتَّى يوافيَ بِه يومَ القيامة" صحيح الترمذي

✉يقول الفضيل بن عياض -رحمه الله-: "إن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير"، وقال أيضاً: "لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعدّ البلاء نعمة والرخاء مصيبة".

✉وكان سفيان الثوري –رحمه الله- يقول: "ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة"

❿الوصية العاشرة: أن العبد قد تكون له منزلة عند الله -عز وجل- لا يبلغها إلا بهذه المصيبة التي تُحرق فؤاده، وفي الحديث قال النبي -ﷺ-: "إنَّ الرجلَ ليكونُ له عند اللهِ المنزلةَ، فما يبلُغُها بعملٍ، فما يزالُ اللهُ يبتليهِ بما يكرَهُ حتى يُبلِغُه إياها" السلسلة الصحيحة

وقال -ﷺ-: "إن العبد إذا سبقتْ له من اللهِ منزلةٌ لم يبلغهَا بعملِهِ ابتلاهُ اللهُ في جسدِهِ أو في مالِهِ أو في ولدِهِ ثم صبَّرهُ على ذلكَ حتى يبلغهُ المنزلة التي سبقتْ لهُ من اللهِ تعالى". صحيح أبي داود

❁فلو يدري هذا المحزون، وهذا المهموم، وهذا القلِق أن هذه المصيبة هي الرافعة التي ترفعه إلى تلك المنازل العالية لفرح بها.

1️⃣1️⃣الوصية الحادية عشرة: تذكر أن البلاء كفارة، ففي الحديث الصحيح: "ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ" صحيح البخاري

من وصب (مرض) ولا نصب (تعب).

وفي الحديث الآخر: "لا يَزالُ البَلاءُ بالمؤمنِ أو المؤمِنَةِ، في جَسدِه، وفي مالِه، وفي وَلَدِه، حتى يَلقى اللهَ وما عليه مِن خَطيئَةٍ"صححه الالباني

✉️وفي هذا الحديثِ تَسليةٌ للمؤمنِ فيما يُصِيبُهُ مِن مَصائبِ الدُّنيا، ومِن الأمراضِ والأوجاعِ؛ فكلُّ ما يُصيبُ المؤمنَ خَيرٌ له، لانها كفارة ورفعة في الدرجات.

وقال النبي -ﷺ-: "إذا اشتكى المؤمنُ؛ أخلصه اللهُ من الذُّنوبِ كما يُخلِّصُ الكيرُ خَبَثَ الحديدِ" بخاري

وفي الحديث الآخر يقول -ﷺ-: "إذا مرض العبدُ بعث اللهُ إليه ملَكينِ فقال: انظُروا ما يقول لعُوَّادِه؟ فإن هو إذا جاؤوه حمد اللهَ وأثنى عليه، رَفعا ذلك إلى اللهِ، وهو أعلمُ ، فيقول : لعبدي عليَّ إن توفَّيتُه أن أُدخِلَه الجنَّةَ وإن أنا شَفيتُه أن أُبدِلَه لحمًا خيرًا من لحمِه ، ودمًا خيرًا من دمِه وأن أُكفِّرَ عنه سيِّئاتِه". حسنه الألباني في صحيح الترغيب

وفي الحديث القدسي: "أنَّ اللهَ يقول إني إذا ابتليتُ عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليتُه فإنه يقومُ من مضجعِه ذلك كيوم ولدتْه أمُّه من الخطايا، ويقولُ الربُّ عزَّ وجلَّ للحفَظةِ أنا قَيَّدتُ عبدي هذا وابتليتُه، فأَجْروا له كما كنتُم تجْرونَ له وهو صحيحٌ". صحيح الترغيب

وقال -ﷺ-عن الحمى: "الْحُمَّى كِيرٌ مِنْ حَرّ جَهَنَّمَ، وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ ". صححه الالباني

📃يقول مسلم بن يسار -رحمه الله-: كان أحدهم إذا برئ قيل له: لِيَهْنِكِ الطهرُمن الذنوب.

✉️وهو أيضاً يؤجر مع تكفير السيئات، كما في حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- مرفوعاً إلى النبي -ﷺ- قال:"صُداعُ المؤمنِ، أو شوكةٌ يُشاكُها، أو شيءٌ يُؤذيه؛ يرفعُه اللهُ بها يومَ القيامةِ درجةً، ويُكفِّرُ عنه بها ذنوبَه". صحيح الترغيب

ويقول -ﷺ-:"يوَدُّ أهلُ العافيةِ يومَ القيامةِ حينَ يُعطَى أهلُ البلاءِ الثَّوابَ لو أنَّ جُلودَهم كانت قُرِضَت في الدُّنيا بمقاريضَ". حسنه الالباني

✉️وفي خبر المرأة السوداء التي كانت تُصرع، "أتَتِ النَّبيَّ -ﷺ- فَقَالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ، وإنِّي أتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ ولَكِ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أصْبِرُ، فَقَالَتْ: إنِّي أتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لي ألَّا أتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا". صحيح البخاري

📃وقد قال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة مفاليس.

📃ويقول أبو بكر -رضي الله عنه-: إن المسلم ليؤجر في كل شيء، حتى في النكبة وانقطاع شسعه، والبضاعة تكون في كُمّه فيفقدها فيفزع لها، فيجدها في ضِبْنِه.

✉️ويحكى عن امرأة من العابدات أنها تعثرت فانقطعت إصبعها فضحكت، فقال لها بعض من معها: أتضحكين وقد انقطعت إصبعك؟! حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها.

❷❶الوصية الثانية عشرة: ما يدريك لعلها تكون سبباً لدفع ما هو أعظم، ومما يذكر في هذا الباب -ولعله ينفع- ما يذكر من خبر وزيرٍ لملكٍ من الملوك، وكان ذلك الوزير رجلاً صالحاً، وكان يكثر من قول: "الخيرة فيما اختاره الله"، فبينما هو يأكل على مائدة الملك، وإذا بالملك تجرح يده، فيقول: قد جرحت، فقال ذلك الوزير على سجيته وعادته: الخيرة فيما اختاره الله، فغضب الملك، وقال: أنت تشمت مني، ثم أمر به إلى السجن، فقال: الخيرة فيما اختاره الله، فأودعوه السجن، وكان ذلك الملك يعجبه الصيد، وكان يصيد عادةً مع ذلك الوزير، فخرج بمفرده -ومن تبع الصيد غفل- فبينما هو يتبع الصيد إذ خرج من حدود مملكته إلى أرضٍ قومٍ يعبدون الأوثان، فلقيه بعضهم وما عرفوه، فأخذوه، ثم جاءوا به إلى صنمهم الكبير، فلما أضجعوه، ووضعوا السكين، إذا بأحدهم يصيح بهم ويشير إلى يده التي قد ظهرت عليها آثار الجرح، وهو يقول لهم: إن هذا لا يصلح للقربان، فأطلقوه وتركوه، فرجع وهو يقول: قد عرفتُ أن الخيرة فيما اختاره الله، فصار هذا الجرح سبباً لإنقاذ رقبته، ثم أمر بالوزير أن يخرج من السجن، وقال له: قد عرفت أن هذا الجرح كان خيرة، ولكن أخبرني حينما أمرت بحبسك فقلت: الخيرة فيما اختاره الله؟فقال: أيها الملك من الذي يخرج معك إلى الصيد عادةً؟، فقال: أنت أيها الوزير، فقال: لو خرجت معك هذه المرة لكنت أنا القربان، فكان سجنه سبباً لنجاته من القتل.

✉ومما يذكر في هذا أيضاً ما وقع لأحد قادة عبيد الله بن زياد، فقد وقع من السطح فانكسرت رجلاه، فزاره إمام كبير من أئمة التابعين وهو أبو قلابة -رحمه الله-، وقال له مسلياً ومعزياً: أرجو أن تكون لك خيرة، فقال: يا أبا قلابة، وأي خيرٍ في كسر رجليَّ جميعاً، فقال: ما ستر الله عليك أكثر، وبعد ثلاثة أيام جاء إلى هذا القائد كتابٌ من ابن زياد يأمره بالخروج لقتال الحسين بن علي -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، فقال هذا القائد للرسول: قد أصابني ما ترى، فعذروه، وبعد سبع ليالٍ جاء خبر مقتل الحسين، فقال الرجل: رحم الله أبا قلابة لقد صدق، فكان كسر الرجلين سبباً لسلامته، ومعافاته من أن يشارك في قتل الحسين -رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

❸❶الوصية الثالثة عشرة: معرفة الصديق الصدوق، والاخ الوفي، المصائب محك الرجال، عند الشدائد يعرف الإخوان.

❹❶الوصية الرابعة عشرة: تذكر أن ما وقع لك إنما وقع بسبب ذنوبك، والله يقول: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)[الشورى:30]

✉فينبغي علينا بدلاً من الهم والحزن، والجزع والقلق أن يكون شغلنا بالاستغفار والتوبة، الذي هو من أعظم الأسباب في دفع البلايا والرزايا والمصائب.

✉وقد جاء عن علي -رضي الله عنه-: ما نزل بلاءٌ إلا بذنب، وما رُفع إلا بتوبة.

لقوله تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) [نوح:10-12]

قال -ﷺ-: "دعوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بطنِ الحوتِ لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَكَ إنِّي كنتُ من الظالمينَ فإنَّه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلَّا استجاب اللهُ له". صحيح الترمذي

❺❶الوصية الخامسة عشرة: ينبغي على العبد المصاب أن يشهد حق الله عليه في هذه البلوى، وحق الله هو الصبر، فهو مأمورٌ بأداء حقه، والله يقول:(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة:155-157].

والله -عز وجل- يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران:200]

❻❶الوصية السادسة عشرة: ينبغي على العبد أن يعلم أن هذه البلية والمصيبة واقعة ولابد، فهي مقدرةٌ ثابتة لا بد من أن تحل بداره، فلا وجه للجزع، والجزع لا يرد فائتاً، وإنما يزيده الجزع بلاءً، ويشمت به عدوه، والله يقول:(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [الحديد:22]

وفي حديث ابن عباس مرفوعاً إلى النبي -ﷺ-: "إنَّ أولَ ما خلق اللهُ القلمُ، فقال لهُ: اكتبْ، قال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ" فكتب الله -عز وجل- ما هو كائن

وفي الحديث الذي رواه التِّرمذي، قال النبي -ﷺ-:"واعلَمْ أنَّ ما أخطَأَكَ لم يَكُن لِيُصِيبَكَ، وما أصابَكَ لم يَكُن، ليُخطِئَكَ، واعلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبرِ، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ معَ العُسْرِ يُسراً "

✉يقول علي -رضي الله عنه-: إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور.

❼❶الوصية السابعة عشرة: لا تدري أيها المؤمن أين الخير، والله -عز وجل- يقول: (وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) [البقرة:216]

❽❶الوصية الثامنة عشرة: ينبغي أن ندرك طبيعة هذه الحياة، فهذه الحياة كما وصفها الله -عز وجل- بقوله: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ) [البلد:4]، هذه طبيعة الدنيا، فينبغي على العبد أن يدرك ذلك، فمن ظن أنها محلٌ للراحة والسعادة والأنس فهو مخطئ، فالراحة إنما تكون في الجنة، وقد سئل الإمام أحمد -رحمه الله-: متى يجد المؤمن طعم الراحة؟، قال: حين يضع أول قدمٍ في الجنة.

✉أما هذه الدنيا فليست محلاً للراحة، فإذا أدرك العبد ذلك من طبيعتها، وعرف حقيقتها فإنه لا يغتر بها، فعليه أن يروّض نفسه على ما يصيبه ويقع له من الآلام والهموم والأوصاب والأنكاد السرور قليل والمحن كثيرة .

❾❶الوصية التاسعة عشرة: لابد للعبد في دار الأكدار من أمرٍ يطمئن له، ويتنعم به ويغتدي به وهو اليقين، وعلى قدر كمال يقين الإنسان على قدر ما يكون عنده من الثبات، ورسوخ القدم أمام عواصف المصائب والمحن والبلايا.

❿❷الوصية العشرون: ينبغي على العبد أن يتدرب على الصبر، وأن يتجرعه وإن كان مُرًّا، فالنبي -ﷺ-: يقول: «ومَن يَتَصبَّرْ يُصَبِّرْه اللهُ». البخاري

❶❷الوصية الحادية والعشرون: أن يستعين الإنسان على الهموم والآلام والمصائب بكثرة الذكر والاستغفار، وقيام الليل، وقراءة القرآن، والله -عز وجل- قد قال لنبيه -ﷺ-:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) [الإنسان: 23-26]

✉نزول القرآن على النبي -ﷺ-، وحملُ أعباء الرسالة لاقى بسببه كثيراً من أعداء الرسل، لاقى منهم ما لاقى من التسفيه، والأذى، والرمي بالعظائم، وضُرب -ﷺ-: في وجهه، وكسرت رباعيته، وسال الدم على وجهه الشريف، فالله -عز وجل- يعلمه الطريق إلى الصبر

❷❷الوصية الثانية والعشرون: أن يلجأ العبد إلى الله -عز وجل- بالدعاء والتضرع، وأن ينطرح بين يديه، وأن يتذلل له، قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر:60]، وقال سبحانه: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل:62] .

قال النبي -ﷺ-: "ما أصاب أحدًا قط همٌّ و لا حزنٌ، فقال: اللهمَّ إني عبدُك، و ابنُ عبدِك، و ابنُ أَمَتِك، ناصيتي بيدِك، ماضٍ فيَّ حكمُك ، عدلٌ فيَّ قضاؤُك ، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك ، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك ، أو أنزلتَه في كتابِك ، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك ، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي ، و نورَ صدري ، و جلاءَ حزني ، و ذَهابَ همِّي ، إلا أذهبَ اللهُ همَّهُ و حزنَه ، و أبدلَه مكانَه فرجًا قال : فقيل : يا رسولَ اللهِ ألا نتعلَّمُها ؟ فقال بلى، ينبغي لمن سمعَها أن يتعلَّمَها" السلسلة الصحيحة

كانَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-: "يَتَعَوَّذُ مِن جَهْدِ البَلَاءِ، ودَرَكِ الشَّقَاءِ، وسُوءِ القَضَاءِ، وشَمَاتَةِ الأعْدَاءِ"صحيح البخاري

- أنَّ رَسولَ اللَّهِ -ﷺ- كانَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ: "لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ".صحيح البخاري

❸❷الوصية الثالثة والعشرون: لا تُعد شريط الذكريات السيئة، من الناس من يجتر المصائب حيناً بعد حين، ويتذكر تلك البقع السوداء التي مرت به في سنين حياته، فيجدد له ذلك الحزن حيناً بعد حين، وإنما ينبغي على العبد أن يوجه تفكيره بطريقةٍ صحيحة إيجابية، فانظر إلى المستقبل، فكر في عمارة آخرتك، وفيما ينفعك في دنياك وما أنت بصدده، فكر فيما يجدي عليك نفعاً.

❹❷الوصية الرابعة والعشرون: عليك بحضور مجالس الذكر، ومجالس العلم، فإن ذلك يشرح الصدر؛ لأن هذه المجالس هي رياض الجنة

❺❷الوصية الخامسة والعشرون: عليك بالنفع المتعدي، فإنه من أعظم الأمور التي يحصل بها الانشراح، إذا ضاق بك أمرٌ فابحث عن مسكين، ابحث عن فقير،إن النفع المتعدي يشرح الصدر بطريقة عجيبة، بل إن الإحسان إلى الناس يجد الإنسان بسببه انبلاجاً في صدره، ألم يقل الله -عز وجل-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) [المجادلة:11]، يفسح لكم في الصدر، ويفسح لكم في الرزق، ويفسح لكم في القبر، فكل المعاني التي ذكرها السلف داخلة تحت هذا الفسح.

❻❷الوصية السادسة والعشرون: انتظر الفرج، سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً، انتظار الفرج عبادة وحسن ظن بالله يؤجر عليه العبد، قال تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) [الشرح:5-6]

❼❷الوصية السابعة والعشرون: هناك أمورٌ محسوسة إذا تعاطها الإنسان فإن ذلك يكون سبباً لانشراح الصدر وسعته، فهناك أمورٌ يسميها العلماء بالمفرحات، كالعسل، والزعفران، والتين، والزيتون، فهذه كلها من المطعومات التي يقال لها المفرحات، فإذا أكلها الإنسان كان ذلك سبباً لانشراح صدره، وكذلك التلبينة، كما جاء في حديث عائشة في صحيح البخاري، فقد كانوا يصنعونها لأهل الميت ليخفف ذلك من الحزن عنهم، وهكذا أيضاً الأمكنة، فقد يجد الإنسان الانشراح في بلد أو في حي أو في دار، وهكذا الروائح كالمسك، والطيب، وهكذا الجلساء الذين يجد قلبه ينشرح عند مجالستهم، وهكذا المشاهد أيضاً التي يشاهدها الإنسان، فمنها ما يسبب له انشراحاً، ومنها ما يسبب لها غمًّا، وهكذا ما يسمعه الإنسان.

❽❷الوصية الثامنة والعشرون: النفس تكلّ وتمل، وتتعب، ويصيبها ما يصيبها من الألم والحزن والهم، فيحتاج الإنسان إلى شيءٍ من الإجمام والترويح حيناً بعد حين، وقد كان النبي -ﷺ- يسابق عائشة -رضي الله تعالى عنها- وكان يمازح أصحابه.

❾❷الوصية التاسعة والعشرون: ابتعد عن المنغصات والمشكلات، من الناس من لا يوفق، إذا جلس مع الناس جرح هذا بلسانه، وآذى هذا بكلامه، وغمز هذا بحركاته، وآذى هذا بتصرفاته، فهو في غابةٍ من المشكلات، لا يستطيع أن يمسك لسانه، ولا يحسن التصرف، ولا يستطيع أن يعبر بطريقةٍ صحيحة بحيث يحفظ للناس كرامتهم ومشاعرهم، وهذه المشاكل تورث في القلب حزناً وألما فينبغي للإنسان أن يبتعد عن المشاكل، بأن يكون كلامه طيباً، وفعله جميلاً حسناً، لا يجد الناس منه ما يسوءهم، وتكون علاقته بمن حوله علاقة طيبة كريمة.

❿❸الوصية الثلاثون: كما يقول العامة: "هوِّنها وتهون"، كيف نهون المصيبة؟، يمكن أن نهون المصيبة بأمورٍ متعددة:

❶الأول: أن نذكر ما هو أعظم منها، سُئلت امرأة كثيرة المصائب وهي صابرةٌ محتسبة لا تجزع ولا تتضعضع، كيف تصبرين هذا الصبر وتتماسكين؟ فقالت: ما أُصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت في عيني أصغر من الذباب.

قال النبي -ﷺ-: "يا أَيُّها الناسُ! أَيُّما أحدٍ من المؤمنينَ أُصِيبَ بمصيبةٍ، فلْيَتَعَزَّ بمصيبتِه بي، عن المصيبةِ التي تُصِيبُه بغيري، فإنَّ أحدًا من أُمَّتي ، لن يُصابَ بمصيبةٍ بعدي أَشَدَّ عليه من مصيبتي" صحيح الجامع

❷والأمر الثاني مما يهونها: أن تحمد الله -عز وجل- أنها لم تكن أعظم من ذلك، إذا كُسرت رجلٌ واحدة فقل: الحمد لله أنها لم تكسر الثانية، وإذا كسرت اليد فقل: الحمد لله أنه ليس الظهر.

❁ورأى رجلٌ قرحةً في يد الإمام العابد محمد بن واسع -رحمه الله-، ففزع ذلك الرجل منها، فقال محمد بن واسع: الحمد لله أنها ليست في لساني، ولا في طرف عيني.

❁ورأى رجلٌ فقيراً مريضاً كفيفاً مقعداً وهو يردد: الحمد لله الذي فضلني على كثيرٍ من عباده، فقال: يرحمك الله، وبماذا فضلك؟ قال: رزقني لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وجسداً على البلاء صابراً.

❸الأمر الثالث: انظر في حال أمثالك، وقد قالت الخنساء حينما قتل أو مات أخوها صخر ولولا كثرةُ الباكين حولي على إخوانهم لقتلتُ نفسي، فالإنسان حينما ينظر إلى حال أمثاله، هؤلاء مات أبوهم، وهؤلاء مات أخوهم، وهؤلاء مات قريبهم فتهون عليه مصيبته.

❹الأمر الرابع مما يهونها: أن ينظر الإنسان في حال من ابتلي ببلوى هي أعظم من بلواه.

❁يقول سلام بن أبي مطيع -رحمه الله-: دخلت على مريض فإذا هو يئن، فقلت له: اذكر المطروحين في الطريق، اذكر الذين لا مأوى لهم ولا من يخدمهم، يقول: ثم دخلت عليه بعد ذلك فلم أسمعه يئن، وجعل يقول: اذكر المطروحين في الطريق، اذكر من لا مأوى له ولا من يخدمه.

❁وقد وقع لعروة بن الزبير -رحمه الله- حينما قدم على الوليد بن عبد الملك بالشام ما وقع من علةٍ في رجله فقطعت رجله بالمنشار، ومات ولده في تلك السفرة في إسطبل الدواب، وجاء في ذلك الأثناء أعرابيٌ إلى الوليد بن عبد الملك، أعمى، فسأله الوليد عن حاله، فحمد الله -عز وجل-، وكان في غاية الصبر والتجلد، وقال: إنه كان من خبره أنه كان كثير المال والولد، فاجتاحهم السيل، فذهب المال والولد ولم يبقَ له إلا صبيٌّ صغير رضيع وجملٌ واحد، يقول: فأخذت هذا الصبي فشرد الجمل، فوضعت الصبي وجعلت أتبعه، يقول: ثم إن هذا الجمل أصابه في وجهه برجله فذهب بصره، فلما رجع إلى صبيه وجده قد افترسه الذئب، لم يبق له شيء، وذهب بصره، فقال الوليد بن عبد الملك: اذهبوا به إلى عروة، أي من أجل أن يخفف ذلك مصيبته.

❺وأمرٌ خامس مما يهونها: أن نعد نعم الله علينا وأياديه، فإذا عجزنا عن عدها وأصابنا اليأس من حصرها هان عندئذٍ ما نحن فيه من البلاء، وحينئذ نرى البلاء قليلاً كقطرة من بحر بالنسبة لنعم الله -عز وجل- المستفيضة التي يسوقها إلينا صباح مساء.

❁لما قطعت رجل عروة بن الزبير -رحمه الله- قال له ابن طلحة: قد أبقى الله أكثرَك عقلَك ولسانَك وبصرَك، ويديك وإحدى رجليك، فقال: ما عزاني أحدٌ بمثل ما عزيتني به.

❁وقال بعضهم لمن شكا إليه ضيق الحال: أيسُرّك ببصرك مائة ألف؟ قال: لا، قال: فبسمعك؟ قال: لا، قال: فبلسانك؟ قال: لا، قال: فبعقلك؟ قال: لا، ثم قال: أرى لك مئين ألوفاً وأنت تشكو الحاجة

❻والأمرٌ السادس مما يهونها: أن يتذكر الإنسان سوابق النعم، أن يتذكر أن أيام العافية التي مرت به أطول من أيام المرض.

❼الأمر السابع مما يهونها: تذكر، قل لنفسك: إنما هي ساعة فكأن لم تكن، كان ابن شبرمة -رحمه الله- إذا نزل به البلاء قال: سحابة صيف ثم تنقشع.

☜كي يهون عليك البلاء وتنجح في الامتحـــان الذي يورثك الجنة إن شاء الله تعالى :

🗀فلابد من التوكل والاستعانة، كي تنال الصبر... قال الله تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ...) [النحل: 127]، وقوله عزَّ وجلَّ {.. وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216]

🗀اصبروا وابشروا، إن صبركم على البلاء لا يعلم جزاءه إلا رب الأرض والسماء، قال جل وعلا: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر:10]، انظروا إلى الجزاء: (أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)[سورة البقرة:157]،(أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا) [الفرقان:75]

🗀نواسي قلوبنا مهما عظم البلاء حقيقة لا يمكن انكارها، (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا) [إبراهيم:34]

📂ونربط على أوجاعنا مهما طال البلاء مآله للزوال، (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)[الرحمن:26]،(وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ)[الأعلى:17]

كن عن همومك معرضاً وكل أمورك إلى القضا

وابشر بخيرٍ عاجلٍ تنسى به ما قد مضى

فلربَّ أمرٍ مسخطٍ لك في عواقبه الرّضا

✉ومهما اشتد الضيق فالفرج موجود وإن لم يرَ البائس الفرج في الدنيا، فالدنيا أيامٌ معدودة، وإن الحياة الباقية لهي الحياة الآخرة، وهناك يعوض المظلوم تعويضاً يرضيه، ويرى الظالم ما قدم لنفسه.

✉هذه ثلاثون وصية، أسأل الله -عز وجل- أن ينفعني وإياكم بها، وأن يجعل لنا من كل هم فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ومن كل بلاءٍ عافية.

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفِّس كرب المكروبين من المسلمين، اللهم ارفع الحزن عن المحزونين، اللهم ارحم موتانا، واشف مرضانا، وعافِ مبتلانا، واجعل آخرتنا خيراً من دنيانا.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وذهاب أحزاننا، وجلاء همومنا، اللهم ذكرنا منه ما نسينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ولإخواننا المسلمين، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.